

دُفَاعُ الْعَرَبِ فِي الْإِسْلَامِ



« ٣ »

المغيرة بن شعبه للمعضلات

«لو أن مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج
منها إلا بالمكر لخرج المغيرة من أبوابها كلها»
[قبيصة بن جابر]

□ المغيرة بن شعبة في كلمات □ (٠٠ - ٥٠ هـ - ٠٠٠ - ٦٧٠ م)

هو المغيرة بن شعبة بن أوى عامر بن مسعود الثقفى أبو عيسى ، أو أبو محمد^(١) .
قال الطبرى : يكنى أبا عبد الله .

قال : وكان ضخم القامة ، عبل الذراعين ، بعيد ما بين المنكبين ، أصهب الشعر جعده ، وكان لا يفرقه . ولد بالطائف بالحجاز . وأسلم قبل عمرة الحديبية ، وشهدها ويعة الرضوان ، وله فيها ذكر ، وذهبت عينه فى اليرموك .
قال ابن سعد : كان يقال له : مغيرة الرأى .
وشهد اليمامة ، وفتح الشام والعراق .

◀ دهاؤه ومكره :

وقال الشعبى : كان من دُهاة العرب !
وقال قبيصة بن جابر : صحبت المغيرة ، فلو أن مدينة لها ثمانية أبواب ، لا يخرج منها إلا بالمكر ، لخرج المغيرة من أبوابها كلها .
ولاه عمر على البصرة ففتح عدة بلاد ، ثم عزله بعد اتهام وجه إليه ، ثم ولاه الكوفة ، وأبقاه عثمان عليها ، ثم اعتزل الحرب بين على ومعاوية ، وحضر مع الحكمين .

وكان المغيرة بن شعبة من أعوان معاوية ، ولذا ولّاه الكوفة .
والكوفة والبصرة آنذاك أكثر البلاد عداء للأمويين ، ولهذا كان يُختار لهما أقوى الولاة ، وأكثرهم إخلاصاً . وكان «المغيرة بن شعبة» من أحسن الولاة الذين ساسوا الكوفة ؛ لأنه استطاع أن يضمن الطاعة لمعاوية بأقل ما يمكن من الضحايا والدماء .

وقد كشف عن سياسته بقوله : «لا أحب أن أبدأ أهل المصر بقتل

(١) الإصابة فى تمييز الصحابة .

خيارهم ، وسفك دمائهم ؛ فيسعد الخليفة بذلك وأشقى ، ويعز في الدنيا معاوية ، ويدل المغيرة في الآخرة !

ولكننى قابل من مُحْسِنِهِمْ .. وعاف عن مَسِيئِهِمْ .. وحامدٌ حليمهم .. وواعظٌ سفيهم .. حتى يُفَرِّقَ بيننا الموت !» .

ولعل مما يؤخذ على المغيرة استمراره على الطعن في علي واللن له !!
ولعل ذلك كان أساساً لسياسة ذلك العصر .

وقد ظل «المغيرة» والياً على الكوفة حتى مات سنة ٥١ هـ وعندئذ ضم معاوية ولاية الكوفة إلى والى البصرة ذى اليد الحديدية والقلب القاسى : «زياد بن أبيه» . وللمغيرة في الصحيحين ١٣٦ حديثاً .

□ قبيلة المشاهير □

هى قبيلة ثقيف .. تلك القبيلة العربية الكبيرة التى سادت فى الطائف فى العصر الجاهلى ، وكانت منزلتها فى الطائف على مثال مكانة قريش فى مكة .

وقد سجل التاريخ حياة مشاهير قبيلة ثقيف وعلى رأسهم :

١ - أبو عبيد بن مسعود والد المختار الثقفى الذى كان من أبرز المجاهدين وكبار قواد الجيوش الإسلامية التى توجهت لفتح العراق فى مطلع خلافة عمر بن الخطاب .

٢ - وعروة بن مسعود عم المختار الثقفى وأحد سادات ثقيف ، وكان كبير قومه بالطائف ، وقيل : إنه المراد بما جاء فى قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف : ٣١]

٣ - والمغيرة بن شعبة أحد دهاة العرب الأربعة ووالى معاوية فى العراق .

٤ - والمختار بن أبى عبيد الثقفى أحد الأعلام فى العصر الأموى .

٥ - والحجاج بن يوسف الثقفى عضد الدولة الأموية فى عهد الخليفتين : عبد الملك بن مروان ، والوليد بن عبد الملك .

٦ - ومحمد بن القاسم الثقفى القائد الحربى المشهور ، وفاتح الهند المعروف .

٧ - ويوسف بن عمر الثقفى والى العراق فى أواخر العصر الأموى .

هى إذن قبيلة الأبطال والقواد والأعلام والمشاهير ..

قبيلة ثقيف بالطائف .. تلك التى أنجبت لنا «المغيرة بن شعبة» أحد دهاة العرب فى الإسلام ! إنه من ثقيف المشهورة فى الجاهلية والإسلام بقوة الدهاء ، وسعة الحيلة ، ومضاء العزيمة !

□ المغيرة بن شعبة بين رجالات ثقيف ! □

وهكذا اشتهرت قبيلة ثقيف بأنها تنجب رجالاً امتازوا بالذكاء والدهاء والفتنة ؛ فيروى ابن هشام أن الرسول - ﷺ - حين حاصر مدينة الطائف سنة ٨ هـ انضم إلى جيشه عينة الفزارى ، لا لكى يقاتل ثقيفاً ، ولكنه كان يأمل أن يتم للنبي - ﷺ - فتح الطائف ، فيصيب هو جارية يتبطنها ؛ لعلها أن تلد له رجلاً فطناً ؛ لأن ثقيفاً كما يقولون : «قوم مناكير» يعنى : أنهم دهاة فطنون . أما «عينة» نفسه ، فلم يرث دهاء ، ولا يستطيع أن يورثه^(١) .

أنجبت الطائف كثيراً من رجالات العرب الذين لعبوا دوراً كبيراً فى تاريخ صدر الإسلام ، فى عصر الخلفاء الراشدين والأمويين وقد أجمع المؤرخون على تمجيد هؤلاء الثقفيين ، وفى مقدمتهم : المؤرخ الألمانى : «فلهوزن» الذى قال : ارتفع شأن الطائف ، كما ارتفع شأن مكة والمدينة بفضل الإسلام ، واتخذت الطائف من حيث هى مدينة ، موقفاً ممتازاً فوق عصبية القبائل ، كما تجلّى ذلك أيام الردة سنة ١١ هـ .

وقد انضم الثقفيون من أول الأمر — خلافاً للأنصار — انضماماً نهائياً إلى قريش صاحبة السيادة ، وخصوصاً إلى الأمويين ، وكان هؤلاء صلوات وثيقة بالطائف ، وكانوا فيها أصحاب ثراء .

(١) سيرة ابن هشام [ص ٨٧٤] طبعة أوروبا .

وكان الثقفون مشهورين بالدهاء والفظنة ، وقد أقاموا الدليل على ذلك ، وقد ظهر منهم في عصر الأمويين عدد كبير من ذوى المواهب ، وغيرهم من الرجال المبرزين^(١) .

ولقد كانت قریش تضم بيتين كبيرين متنافسين : البيت الأموى ، والبيت الهاشمى .

وكان العلويون أبرز بنى هاشم ، ودخل الثقفون فى طاعة الفرع الأموى دون الفرع الهاشمى عدا المختار الثقفى الذى نبذ طاعة الدولة الأموية ، وظل مخلصاً لآل على بن أبى طالب حتى مصرعه !

أما سائر بنى ثقیف مثل : المغيرة بن شعبة ، والحجاج بن يوسف ، ومحمد بن القاسم ، وغيرهم فكانوا من أبرز ولادة وقواد بنى أمية ، وتمسكوا بولائهم للدولة الأموية ، بما فهم «زياد» الذى أعلن ولاءه لمعاوية بعد ولايته .

وعلى الرغم من أن قبيلة «ثقیف» ترتبط بمدينة «الطائف» إلا أن رجالا ثقیف ارتبطوا فى عصر الخلفاء الراشدين والأمويين ببلاد العراق . فقد شهدت هذه البلاد أمجاد الثقفين ، وأصبح تاريخها فى الحقيقة تاريخ هؤلاء الثقفين .

فقد تولى المغيرة بن شعبة الثقفى حكم الكوفة فترة طويلة ، كما حكم «زياد بن أبيه» - وينسبه بعض المؤرخين إلى ثقیف - البصرة والكوفة فى خلافة معاوية بن أبى سفيان ، ونجح فى توطيد الحكم الأموى فى بلاد العراق .

والمغيرة أحد دهاة العرب الأربعة ، ومنهم زياد . وقد وصف السيوطى دهاء المغيرة بقوله :

«... فلو أن مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها إلا بمكر ، لخرج من أبوابها كلها»^(٢) .

وإن كان فى المغيرة بن شعبة طموح وآمال عريضة ، ورغبة فى الوصول إلى السلطة والنفوذ يشارك فيها غيره من الثقفين ، إلا أنه كان يختار طريقاً مأموناً

(١) تاريخ الدولة العربية [ص ١٠٧] .

(٢) تاريخ الخلفاء ص ١٣٦ . ونسبت هذه العبارة إلى قيصة بن جابر .

سهلاً ، وإن شئت فقل : إنه كان يرى أن يلعب الدور الثاني لا الدور الأول ، وأن يكون تابعاً لا متبوعاً ، فعمل على أن يكسب رضا الخلفاء ، فيعهدوا إليه بحكم بعض البلاد حيث يحقق آماله في السيادة والنفوذ . وبذل كل جهد في سبيل الاحتفاظ بما وصل إليه من سلطان ، دون أن يبذل جهده في أن يؤدي واجبه المنوط به على أكمل وجه !!

وقد أجمع المؤرخون : على أن المغيرة بن شعبة كان سهلاً لنا حيث كان يجب أن يتخذ الشدة .

وينسب الطبرى هذا التساهل إلى حب المغيرة للسلام والعافية^(١) .

أما «فلهوزن» فيفسره بقوله :

لم يستأصل المغيرة الشر في بدايته ، وقبل أن يستفحل ، بل تركه يشتد ويعظم ؛ لأنه كان يعرف أنه لا يعيش حتى يواجه هذا الخطر بعد استفحاله ، وكان لا يهدف إلا للمحافظة على حياته تاركاً هذه الأخطار ليتداركها من يخلفه ، على الرغم من أن هذا يعتبر جزءاً من وظيفته ، ولكنه هدف أن يستفيد من ولايته أكبر فائدة ممكنة وحتى النهاية !

ويرجع «لا منس» تساهل المغيرة إلى كبر سنه ويقول : إنه لو كان أصغر سناً لما تردد في مواجهة هذه الصعوبات بالقوة ، ولكن حب المغيرة للعافية أنساه أنه خاضع للأمويين أما «بروكلمان» فيرجع هذا التساهل إلى أخلاق المغيرة الشخصية فهو يصفه بأنه : «رجل انتهازى لاذمة له ولاذمام»^(٢) .

◀ بداية ونهاية !

بدأ المغيرة حياته السياسية سنة ٩ هـ حينما عهد إليه الرسول ﷺ - بهدم صنم اللات في مدينة الطائف .

واشترك في فتوح العراق في خلافة عمر بن الخطاب .

وولاه عمر بن الخطاب حكم البصرة بعد وفاة أول وإل لها وهو عتبة بن

(١) تاريخ الطبرى [ج ٦ ص ١٥٠] .

(٢) اختصار القفى . د . على حسن الحروبطل .

غزوان ، فنظم ديونها ، وفتح ميسان والأهواز ، وشهد موقعة نهاوند .
ثم عزل عن حكم البصرة ، ولكنه عاد إلى حكم الكوفة بعد فترة قصيرة
سنة ٢١ هـ .

وفي عهده تمت فتوحات بلاد ميديا وأذربيجان^(١) ويروى المؤرخون أن المغيرة
كان أول من اقترح على عمر بن الخطاب أن يتخذ لقب «أمير المؤمنين» .
وكان المسلمون ينادونه : بيا : «خليفة خليفة رسول الله» .

◀ جوانب مضيئة من حياته :

صحب النبي - ﷺ - ، وشهد معه الحديبية وما بعدها . وبعثه أبو بكر -
رضي الله عنه - إلى أهل النجيرة^(٢) .

وشهد فتح اليمامة ، وفتح الشام .

وكان أعور أصيبت عينه في يوم اليرموك .

وشهد القادسية مع سعد بن أبي وقاص ، فلما أراد مراسلة «رستم» لم يجد في
العرب أدهى منه ولا أعقل ، فبعث به إليه ، وكان السفير بينهما حتى وقعت
الحرب .

وولاه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عدة ولايات :

إحداها : البصرة ، ففتح وهو واليها «ميسان»^(٣) ، ودست ميسان
وأبرقباذ .

وقاتل الفُرس بالمرغاب^(٤) ، فهزمهم ، ونهض إلى من كان بسوق الأهواز ،
فقاتلهم وهزمهم ، وفتحها ، وانحازوا إلى نهر تيرى^(٥) ، ومناذر الكبرى ، فزحف
إليهم فقاتلهم ، وهزمها وفتحها .

(١) البلاذري : فوح البلدان [ص : ٣٣٤] .

(٢) النجيرة : حصن باليمن قرب حضرموت لجأ إليه أهل الردة مع الأشعث بن قيس في سنة ١٢ للهجرة .

(٣) ميسان : اسم كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط ، قصبتها ميسان .

(٤) المرغاب اسم نهر يمر بالشاهجان واسم نهر بالبصرة . وهي هنا قرى من قرى هراة .

(٥) بلد من نواحي الأهواز حفرة أردشير الأصغر بن بابك .

وخرج إلى المشرق مع النعمان بن المقرن^(١) ، وكان المغيرة على ميسرته ، وكان عمر قد عهد ؛ إن هلك النعمان ، فالأمير حذيفة^(٢) ، فإن هلك حذيفة فالأمير المغيرة بن شعبة .

ولما فتحت «نهاد» سار المغيرة في جيش إلى همدان ففتحها .

وولاه عمر - رضى الله عنه - بعد ذلك الكوفة ، فقتل عمر وهو واليها ، وأقره عثمان ثم عزله ، فلما قتل عثمان اعتزل القتال إلى أن حضر مع الحكمين ، ثم بايع معاوية بعد أن اجتمع الناس عليه .

وولاه - أيضاً - معاوية بن أبي سفيان - رضى الله عنه - إياها فكان عليها إلى أن مات بها سنة خمسين على الأكثر .

وهو أول من وضع ديوان الإعطاء بالبصرة ، ورتب الناس فيه ، فأعطاهم على الديوان ، ثم صار ذلك رسماً لهم بعد ذلك يحتنونه .

قال الطبري : كان لا يقع في أمر إلا وجد له مخرجاً ، ولا يلتبس عليه أمران .

وقال الطبري - أيضاً :- كان مع أبي سفيان في هدم طاغية ثقيف بالطائف .

◀ المغيرة يغضب لأبي بكر ! وأبو بكر يحميه !

يحكى المغيرة بن شعبة فيقول : كنت جالساً عند أبي بكر إذ عرض عليه فرس

(١) من الأمراء القادة صحابي فاتح ، كان معه لواء «مزينة» يوم فتح مكة ، سكن البصرة ، ثم تحول عنها إلى الكوفة ، ووجهه سعد بن أبي وقاص - بأمر عمر - إلى محاربة الهرمزان ، فرحف بجيش الكوفة إلى الأهواز ، وهزم الهرمزان ، وتقدم إلى «تستر» فشهد وقائعها ، وعاد إلى المدينة بشيراً بفتح «القادسية» . غزا «أصفهان» ففتحها وهاجم نهاوند واستشهد فيها ، فبكاه عمر سنة ٢١ هـ .

[الأعلام : ج ٨ ص ٤٢] .
(٢) صحابي من الولاة الفاتحين كان صاحب سر النبي - ﷺ - في المواقف تولى سنة ٣٦ هـ [الأعلام : ٢] .

(٣) نهاوند : مدينة عظيمة جنوبي همدان بينهما ثلاثة أميال .

له ، فقال له رجل من الأنصار : احملنى عليها .
فقال أبو بكر - رضى الله عنه - : لأن أحمل عليها غلاماً قد ركب الخيل على
غُرْلته^(١) أحب إليّ من أن أحملك عليها ، فقال له الأنصارى : أنا خير منك ومن
أبيك !

قال المغيرة : فغضبت لما قال ذلك لأبى بكر - رضى الله عنه - فقامت
إليه ، فأخذت برأسه ، فركبته ، وسقط على أنفه ، فتوعدنى الأنصار ، فبلغ
ذلك أبا بكر فقام ، فقال : أما بعد : فقد بلغنى عن رجال منكم زعموا ألى
مُقيدهم من المغيرة بن شعبه .

ووالله لأن أخرجهم من دارهم أقرب إليهم من وَرْعَةٍ^(٢) الله الذين يزعمون
إليه^(٣) .



(١) الغُرْلَة : القلفة . ويريد أبو بكر أن الغلام المدرب على ركوب الخيل من صفه قبل أن يجتن أفضل
من الكبير الذى ليست لديه خبرة بركوب الخيل .
(٢) الوزعة : جمع وازع ، وهو الذى يكف الناس عن الإقدام على الشر .
(٣) الأغاى لأبى الفرج الأصفهائى .



المغيرة بن شعبة في مرآة الأصفهاني

يقول أبو الفرج الأصفهاني :

كان المغيرة بن شعبة من ذُعاة العربِ وحَزَمَتِها ، وذوى
الرأى منها ، والحِيلِ الثاقبة !
وكان يقال له في الجاهلية والإسلام :
« مُغيرة الرأى »

وكان يقال :

ما اعتلج في صدر المغيرة أمران إلا اختار أحزمهما .

[الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني]

□ المغيرة وعمه ! □

رأى المغيرة بن شعبه عمّه عروة بن مسعود الثقفى - وكان أحد أكابر ثقيف فى

الجاهلية^(١) - يكلم النبى - ﷺ - ويتناول لحيته بمسها ، فقال :

أمسك يدك عن لحية النبى - ﷺ - قبل ألا تصل إليك .

فقال عروة : ياغُدر ، وهل غسلت رأسك من غُذرتك إلا بالأمس ؟

وكان قد خرج مع سبعة نفر من بنى مالك إلى مضر ، فعدا عليهم فقتلهم جميعاً وهم نيام ، واستاق العير ، ولحق برسول الله - ﷺ - تائباً راغباً فى الإسلام !

□ سفارة المغيرة بن شعبه □

عندما وجّه عمر - رضى الله عنه - « سعد بن أبى وقاص » على رأس جيش تريد عدته على ثلاثين ألفاً ليقضى على سلطان الفرس فى العراق كله .. فلما اشتدت غارات العرب على السواد من أسفله إلى أعلاه ، وبعث مرازبته^(٢) ودهاقينه^(٣) إلى « يزد جرد » أنه إن لم يتجددهم نزلوا على أمر المسلمين طائعين أو كارهين زال من نفسه كل تردد وأمر « رستم » فसार إلى « ساباط » وعلم سعد بمسيرته ، فكتب إلى عمر ، فرد عليه عمر : « لا يكرنبك ما يأتيك عنهم ، ولا ما يأتونك به ، واستعن بالله ، وتوكل عليه ، وابعث إليهم رجالاً من أهل المنظرة والرأى والجلد يدعونهم ، فإن الله جاعل دعاءهم توهيناً لهم ، وفلجاً عليهم » .

لقد أمره أن يبعث إلى صاحب الفرس من يناظرونه ويدعونهم ، وكان « المغيرة

(١) أسلم وشهد الحديبية ، ودعا قومه إلى الإسلام فعضوه ، ورماه واحد منهم بهم فقطعه .
[الإصابة : ٢٣٨٤] .

(٢) المرازبة : جمع مَرزُبان : رئيس الفرس ، أو الفارس المقدم على القوم .

(٣) الدهاقين : جمع دُهقان : رئيس القرية ، ورئيس الإقليم ، والقبوى على التصرف مع شدة خيرة .

ابن شعبة» عضواً في ذلك الوفد من أهل الرأي والسياسة والشجاعة .

وعندما تساءل «يزدجرد» عن سرّ قلوبهم رد عليه «النعمان بن مقرن» ، فكبر على «يزدجرد» أن يسمع مثل ذلك القول ، فقال : «إني لا أعلم أمة في الأرض كانت أشقى ، ولا أقل عدداً ، ولا أسوأ ذات بين منكم .. إلخ ما قال . وسمع الوفد هذه المقالة فسكتوا . عند ذلك قام «المغيرة بن شعبة» فقال : أيها الملك ، هؤلاء رعوس العرب ووجوههم ، وهم أشراف يستحيون من الأشراف ، وإنما يكرّم الأشراف ويُعظم حقّهم الأشراف ، وليس كلّ ما أُرسلوا به قالوه ، ولا كلّ ما تكلمت به أجابوك عنه ، فجوابني لأكون الذي أبلغك وهم يشهدون على ذلك لي ..

ثم قال : اختر إن شئت : الجزية ، وإن شئت السيف ، أو تُسلم فتنجي نفسك » .

لم يطق «يزدجرد» الصبر على ما سمع ، فقال وقد أخذ منه الغضب : «لولا أن الرسل لا تُقتل لقتلتكم . لا شيء لكم عندي» .

ويتفق المؤرخون جميعاً على رواية ما حدث بين يزدجرد ووفد سعد ، ولا يقع بينهم خلاف إلا في بعض العبارات التي تبادلها الفريقان .

وفي صحيح البخاري في قصة النعمان بن مقرن في قتال الفرس - أنه كان رسول النعمان إلى امرئ القيس ، وشهد تلك الفتوح .

عمر بن الخطاب في رأى المغيرة :

ذكر المغيرة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فقال : كان عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أفضل من أن يخدع ، وأعقل من أن يُخدع ! وما رأيت مخاطباً له إلا رحمته كائناً من كان !

◀ لماذا ولاه عمر الكوفة ؟

قال له عمر - رضى الله عنه - ما أدري كيف أعامل أهل الكوفة ؟ إن أرسلت إليهم مؤمناً ضَعُفُوهُ^(١) .

وإن أرسلت إليهم قوياً فَجَرُّوهُ^(٢) .

فقال المغيرة : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، الضعيف إيمانه له ، وعليك ضعفه .

والفاجر قوته لك ، وعليه فجوره ؛ فولاه الكوفة^(٣) .

◀ عمر بن الخطاب يكشف أوراق المغيرة !

◀ قال المدائني :

قال رجل من قریش لعمر بن الخطاب - رضوان الله عليه - ألا تتزوج أم كلثوم بنت أوى بكر ، فتحفظه بعد وفاته ، وتخلفه فى أهله ؟!

فقال عمر : بلى . إنى لأحب ذاك ؛ فاذهب إلى عائشة ، فاذكر لها ذلك ، وعُذِّ إلىَّ بجوابها ، فمضى الرسول إلى عائشة ، فأخبرها بما قال عمر ، فأجابته إلى ذلك ، وقالت له : حُبًّا وكرامة !

ودخل إليها بعقب ذلك «المغيرة بن شعبة» ، فرآها مهمومة ، فقال لها : مالك يأم المؤمنين ؟

فأخبرته برسالة عمر ، وقالت : إن هذه جارية حَدَّثَتْ^(٤) ، وأردت لها ألين عيشاً من عمر .

فقال لها : عَلَىَّ أَنْ أَكْفِيكَ

وخرج من عندها ، فدخل على عمر ، فقال : بالرِّفَاءِ والبَيْنِ^(٥) . قد بلغنى ما أتيته من صلة أوى بكر فى أهله ، وخطبتك أم كلثوم .

(١) نسبوا إليه الضعف .

(٢) نسبوه إلى الفجور .

(٣) محاضرات الأدباء [١٠١/١] .

(٤) صغيرة السن .

(٥) دعاء بالالتئام والبركة . قال ابن السكيت : وإن شئت كان معناه بالسكون والهدوء والطمأنينة .

فقال : قد كان ذاك .

قال : إلا أنك ياأمير المؤمنين رجل شديد الخلق على أهلك ، وهذه صبية حديثة السن ، فلا تزال تنكر عليها الشيء ، فتضربها ؛ فتصيح ، يابئناه ! فيغملك ذلك ، وتتألم له عائشة ، ويذكرون أبا بكر ، فيبكون عليه ، فتجدد لهم المصيبة به ، مع قرب عهدها في كل يوم .

فقال له : متى كنت عند عائشة ، واصدقني ؟! فقال : آنفاً .

فقال عمر : أشهد أنهم كرهوني ، فتضمنت لهم أن تصرفني عما طلبت ، وقد أعفيتهم . فعاد إلى عائشة ، فأخبرها بالخبر ، وأمسك عمر عن معاودتها^(١) .

◀ المغيرة والموالى :

لعب المغيرة بن شعبة دوراً في تاريخ الموالى بطريق غير مباشر ؛ فقد لقي عمر ابن الخطاب مصرعه على يد «أبي لؤلؤة المجوسى» مولى المغيرة ؛ فقد قتله بخنجر في ذى الحجة سنة ٢٣ هـ .

وكان مقتل عمر على يد رجل من «الموالى» يبين مدى الاستياء والسخط اللذين استوليا على نفوس هؤلاء الفرس بعد زوال سلطانهم ، ودخولهم في حوزة العرب ، كما أدى إلى تغير كبير في معاملة الموالى ، فقد بدأ ولاية العراق في التفرقة في المعاملة بين العرب والموالى حتى إذا كان عصر المختار ، كان الموقف قد أوْشك على الانفجار ، واستفاد المختار من سوء أحوال الموالى ، وأصبح محرراً ومنقذاً لهم .

◀ المغيرة ومسرح الأحداث :

ابتعد المغيرة عن مسرح الأحداث في خلافة «عثمان بن عفان» ، حتى إذا تولى «علي بن أبي طالب» - رضى الله عنه - وبدأ عهده بعزل ولاية عثمان من حكم الأمصار الإسلامية تقدم إليه بنصححه بأن يُبقى «معاوية» والياً على الشام على أن يأخذ البيعة له وإليك مزيداً من التفاصيل :

(١) نسب الأستاذ العقاد هذه القصة إلى عمرو بن العاص ، ونسبها المدائنى هنا مع اختلاف في اللفظ إلى «المغيرة بن شعبة» ، وكلاهما داهية ، وإن دلت على شيء فإنما تدل على حدوثها ولنا فيها درس من دروس الدهاء .

◀ على - رضى الله عنه - يرفض نصيحته !

جاء المغيرة إلى على بن أبى طالب - رضى الله عنه - فقال له : اكتب إلى معاوية فوّله الشام ، ومُزّه بأخذ البيعة لك ؛ فإنك إن لم تفعل وأردت عزله حاربك .

فقال على - رضى الله عنه - : « ما كنت متخذ المضلين عُصداً »^(١) .

فانصرف المغيرة وتركه ! فلما كان من غد جاءه ، فقال : إني فكرت فيما أشرت به عليك أمس ، فوجدته خطأ ، ووجدت رأيك أصوب .

فقال له على : لم يخف علىّ ما أردت ؛ قد نصحتنى فى الأولى ، وغششتنى فى الآخرة ، ولكنى - والله - لا آتى أمراً أجد فيه فساداً لدينى ، طلباً لصلاح دُنْيائى . فانصرف المغيرة .

ويروى ابن حبان فى روضة العقلاء أن «المغيرة بن شعبة» وهو المعروف بدهائه وبعد نظره أشار على علىّ أن يُقرّ معاوية على الشام تسمح له طاعته .

قال : فإن أهل الشام قد ذاقوه فاستعذبوه وولهم عشرين سنة ، لم يعتبوا عليه ، ولم يُعَيّبوه^(٢) فى عِرض ولا مال .

فقال على : «والله لو سألتنى قرية ما وليته إياها» .

قال المغيرة : «أراه سبلى أرضين وقريّات» .

وكان الأمر كما تَوَقَّع المغيرة ، وما قَدَّر علىّ - على ثقب ذهنه ، وكثرة علمه - أن يُقدّر قوة خصمه فاحتقره ، ورأى أن دينه يمنعه من أن يُقرّه ، وهو يعتقد فى إقراره الضّرر له وللجماعة !

وعندما رأى «المغيرة» أن علىّاً - رضى الله عنه - لم يستمع إلى مشورته ، انصرف غاضباً إلى معاوية ، ثم وقف إلى جانبه خلال التحكيم !

وتلقى من معاوية المكافأة على تأييده له ، فعندما تولى الخلافة معاوية فى سنة ٤٠ هـ ولاه الكوفة .

(١) اقتباس من الآية الكريمة ﴿ ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً ﴾ [سورة الكهف : الآية ٥١] .

(٢) أعجبه : سره بعدما ساءه .

□ المغيرة بن شعبة والجمولة الأخيرة في الصراع ! □

لم يكن قرار الحكيمين خافياً على من عرفوا «أبا موسى الأشعري» و «عمرو ابن العاص» ؛ فإن أبا موسى لم يكتف قط أن السلامة في اجتناب الفريقين والقعود عن القتال ، فليس أيسر من إقناعه بخلع صاحبه وخلع معاوية على السواء . ثم يرجع الرأي إلى عمرو بن العاص في إقرار هذا الخلع ، أو الاحتياي فيه بالحييلة التي ترضيه .

ويقول الأستاذ العقاد في «عبقريّة الإمام» : إلا أن الدهاة من العرب كانوا يتوقعون من «عمرو» أن يحتال لنفسه حتى يفرغ وسعه قبل أن يحتال لصاحبه الذي أنابه عنه .

ومن هؤلاء الدهاة «المغيرة بن شعبة» الذي اعتزل الفريقين من مطلع الفتنة إلى يوم التحكيم ؛ فلما اجتمع الحكمان علم أنها الجمولة الأخيرة في الصراع ، فخرج عن عزلته ، ودنا ليستطلع الأمور على سنة الدهاة من أمثاله ؛ إذ يتنسمون الريح قبل هبوبها ، ولا يقلقون أنفسهم . بمهبها قبل أوانها ، فلقى أبا موسى وعمرو ابن العاص ، ثم ذهب إلى معاوية وهو مشغول البال بطول الاجتماع بين الحكيمين ، واضطراب الظنون فيما وراء هذا الإبطاء المريب !

فقال له : وهو يرى اشتغال باله : قد أتيتك بخبر الرجلين . قال معاوية : وما خبرهما ؟

قال المغيرة : إني خلوت بأبي موسى لأبْلُو ما عنده ، فقلت : ما تقول فيمن اعتزل عن هذا وجلس في بيته كراهية للدماء ؟

فقال : أولئك خيار الناس ، خفت ظهورهم من دماء إخوانهم ، ويطؤونهم من أموالهم .

فخرجت من عنده ، وأتيت عمرو بن العاص ، فقلت : ياأبا عبد الله ، ما تقول فيمن اعتزل هذه الحروب ؟ فقال : أولئك شرار الناس ؛ لم يعرفوا حقاً ، ولم ينكروا باطلاً .

ثم عقب المغيرة قائلاً ، أنا أحسب أبا موسى خالِعاً صاحبه ، وجاعلها لرجل لم يشهد ، وأحسب هواه في عبد الله بن عمرو بن الخطاب .

وأما عمرو بن العاص فهو صاحبك الذي عرفته ، وأحسبه سيطلبها لنفسه ، أو لابنه عبد الله ، ولا أراه يظن أنك أحق بهذا الأمر منه .

وقد أحسن المغيرة خَزَرَهُ نقل الحرف بالحرف في تقدير نية الرجلين ؛ فإنهما ما اجتمعا هنية حتى أقبل أبو موسى على عمرو يقول له :

يا عمرو ، هل لك فيما فيه صلاح الأمة ورضا الله ؟! قال : وما هو ؟ قال : نولى عبد الله بن عمر ؛ فإنه لم يُدخل نفسه في شيء من هذه الحروب .

فراغ عمرو قليلاً يحاول أن يلقي في روع صاحبه أنه يريد معاوية ، ثم عاد يسأله : فما يمنحك من ابني عبد الله مع فضله وصلاحه وقديم هجرته وصحبته ؟ فأوشك أبو موسى أن يجيبه لولا أنه قال :

إن ابنك رجل صدق ، ولكنك غمسته في هذه الحرب غمساً !!

وتكرر هذا القول وأشابهه في كل لقاء حتى وقر في خلد الأشعري أن خلع الزعيمين أمر لا مناص منه ولا اتفاق بينهما على غيره ، فتواعدا إلى اليوم الذي يعلن فيه هذا القرار !

وتقدم أبو موسى آنذا فقال بعد تمهيد : «أيها الناس إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر أصلح لأمرها ، ولا ألم لشعثنا من أمر قد أجمع رأيي ورأي عمرو عليه ، وهو أن «نخلع علياً ومعاوية» ونستقبل الأمة بهذا الأمر ، فيولوا منهم من أحبوا عليهم ، وإني قد خلعت علياً ومعاوية ، فاستقبلوا أمركم وولوا من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً » .

وتلاه عمرو فقال بعد تمهيد : «... إن هذا قال ما سمعتم وخلع صاحبه ، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه ، وأثبت صاحبي معاوية ، فإنه ولي عثمان بن عفان - رضي الله عنه - والطالب بدمه ، وأحق الناس بمقامه » .

وهكذا كانت المأساة ، فلم يفض اجتماع الحكيمين إلى اتفاق وعاد الخلاف إلى ما كان عليه بل استشرى واحتدم بما زاد عليه من فتنة الخوارج .

□ معاوية يستعين بالمغيرة على زياد ! □

كان زياد عاملاً لعلي بن أبي طالب على فارس ، فلما مات علي ، وباع الحسن معاوية « عام الجماعة » بقي زياد بفارس ، وقد ملكها وضبط قلاعها ، فاعْتَمَّ به « معاوية » ، فأرسل إلى « المغيرة بن شعبة » فلما دخل قال : « لكل نبأ مُسْتَقَرَّ ، ولكل سِرٌّ مُسْتَوْدَع ، وأنت موضع سري وغاية ثقتي ! » .

فقال المغيرة : ياأمير المؤمنين ، إن تستودعني سرك تستودعه ناصحاً شقيقاً ورِعاً صديقاً . فماذا لك ياأمير المؤمنين ؟! قال : ذكرتُ زياداً واعتصامه بأرض فارس ، ومقامه بها وهو « داهية العرب » ، ومعه الأموال ، وقد تحصَّن بأرض فارس وقلاعها ، يدبّر الأمور ، فما يؤمنني أن يبيع لرجل من أهل هذا البيت فإذا هو قد أعادها جذعة^(١) !

قال له المغيرة : أتأذن لي في إتيانه ؟

قال : نعم .

فلما دخل عليه ، وجده وهو قاعد في بيت له مُسْتَقْبَلُ الشمس ، فقام إليه « زياد » ، وسرَّ بقدمه ، وكان له صديقاً ، فلما تفاوضا في الحديث ، قال له « المغيرة » :

أعلمت أن « معاوية » استخفَّه الوجل^(٢) حتى بعثنى إليه ، ولا نعلم أحداً يمدّ يده إلى هذا الأمر غير الحسن ، وقد بايع « معاوية » ، فخذ لنفسك قبل التوطين ، فيستغنى عنك معاوية قال : أشير عليّ ، وارم الغرض الأقصى ؛ فإن المستشار مؤتمن .

قال : أرى أن تصل حبلك بحبله ، وتسير إليه ، وتعيّر الناس أذنأ صماء ، وعينأ عمياء .

قال : يابن شعبة : لقد قلت قولاً لا يكون غرسه في غير منبته ، لا أصل له

(١) الجذعة : الشابة الحدة . والمراد : يشعلها من جديد قوية عيفة .

(٢) استخفَّه الوجل : خفَّت حاله منه . والوجل : الفزع والخوف .

يغذيه ، ولا ماء يسقيه ، كما قال زهير :

وَهَلْ يُنْبِتُ الْخَطَى^(١) إِلَّا وَشِجْهَ وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ
ثم قال : أرى ، ويقضى الله .

◀ المغيرة وأحلام الخوارج :

لم تتحقق أحلام الخوارج حين شمر «المغيرة» عن مساعد الجدل للتنكيل بهم ، واستتصال شأفتهم بما عرف عنه من الدهاء والمكر ، ولا غرو فهو رابع أربعة عرفوا بالدهاء ، وهو الذى قيل فيه :

لو كان الدهاء له ثمانية أبواب استطاع المغيرة أن يخرج منها كلها !

ويقول المؤرخون : إنه عندما سار الخوارج إلى الكوفة ودخلوها كان من حسن حظهم أن كان عليها المغيرة بن شعبة ، فقد كان حسن السيرة يكره إراقة الدماء ، ولم يتدخل في شئون الخوارج الذين اجتمعوا في ذلك الوقت في دار «حيان بن ظبيان السلمى» الذى آلت إليه زعامة الخوارج ؛ حيث ولوا أمرهم المستورد بن علفة التيمى ، واتفقوا أن يكون خروجهم للثأر في غرة شعبان سنة ٤٣ هـ^(٢) .

فلما علم المغيرة بأمرهم شدد في طلبهم ، وعول على القضاء عليهم قبل أن يشتد خطرهم ، فقبض على جماعة منهم من بينهم حيان بن ظبيان ، ومعاذ بن جوين الطائى ، وأودعهم السجن^(٣) . وضيق على إخوانهم حتى غادروا الكوفة ، وأخذوا ينتقلون في البلاد لا يَلُوُّون على شيء .

ثم ساروا إلى «الصَّراة» (قرب بغداد) ، ومنها إلى «بَهْرَسِير»^(٤) . ولما علم المغيرة بمسيرهم جمع لقتالهم جيشاً من الشيعة يربو على الثلاثة آلاف ، وأمر عليه «معقل بن قيس الرياحى»^(٥) من كبار الشيعة ، فأدرك الخوارج بالمدار^(٦) وتابعهم

(١) الْخَطَى : الرمح . ينسب إلى الخط . بلد تقوّم به الرماح ببلاد البحرين .

والوشيج : ما نبت من القنا والقصب ملتقاً .

(٢) الطبرى [ج ٦ ص ١٠٠] .

(٣) الطبرى : [ج ٦ ص ١٠٤] .

(٤) بفتح الباء وضم الماء وكسر السين من نواحي سواد بغداد قرب المدائن .

(٥) الطبرى [ج ٦ ص ١٠٨ - ١١٨] .

(٦) بين واسط والبصرة .

على مقربة من «ساباط» حيث قتلهم عن آخرهم .

◀ موقفه من الشيعة :

خدمت روح التشيع في نفوس أهل الكوفة ، وانضوا تحت لواء «معاوية» الذى أصبح صاحب السلطان على إثر نزول الحسن له عن الخلافة ، ومغادرته الكوفة إلى المدينة لكن سياسة السب على المنابر أثارت «حجر بن عدى» الذى ظل على سياسته العدوانية ضد سلطان بنى أمية حتى مات المغيرة ، فأسندت ولاية الكوفة إلى «زياد» فكان له مع حجر شأن آخر .

سياسة المغيرة في حكم الكوفة

لم يرض معاوية عن سياسة المغيرة في حكم «الكوفة» وخاصة أنه تساهل مع الثائرين من أحزاب «الشيعة» و «الخوارج» ؛ فقد كان المغيرة – كما ذكرت من قبل – يميل إلى السلام والمودعة !

وأراد «معاوية» أن يعزله عن حكم الكوفة ! وحاول المغيرة أن يثنى معاوية عن غرضه ، فراح يفكر كيف يحتفظ بولاية الكوفة !!
وكان للداهيتين لقاء !!

ترى أى الداهيتين كان له الغلبة ؟!

وهل كانت الصفقة متكافئة ؟!

المهم أن دهاء المغيرة أعفاه من العزل ، فكيف كان ذلك ؟!

دهاء المغيرة يُعفيه من العزل عندما كبرت سنه !

كتب المغيرة بن شعبة إلى معاوية حين كبر وخاف العزل :
أما بعد ؛ فإنه قد كبرت سنى ، ورق عظمى ، واقترب أجلى ، وسفهنى سفهاء قريش ، فرأى أمير المؤمنين في عمله مُوفق .

فكتب إليه معاوية : أما ما ذكرت من كبر سنك فإنك أكلت سنك عمرك .
وأما ما ذكرت من اقتراب أجلك ؛ فإنى لو كنت أستطيع أن أدفع المنية لدفعتها
عن آل أبى سفيان .

وأما ما ذكرت من سفهاء قريش ، فإن حلماة قريش أنزلوك هذا المنزل .
وأما ما ذكرت من العمل فضح رويداً^(١) يدرك الهيجا حمل^(٢) .
فاستأذن معاوية فى القدوم ، فأذن له ، قال الربيع بن هذيم : فخرج المغيرة ،
وخرجنا معه إلى معاوية ، فقال له :
يامغيرة ، كبرت سنك ، واقترب أجلك ، ولم يبق منك شيء ، ولا أظننى إلا
مستبدلاً بك .

قال : فانصرف إلينا ونحن نعرف الكآبة فيه !

فقلنا : ما تريد أن تصنع ؟

قال : ستعلمون ذلك .

فأتى معاوية ، فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ الْأَنْفُسَ يُغْدَى عَلَيْهَا وَيُرَاح ، وَلَسْتُ
فِي زَمَنِ أَبَى بَكْرٍ وَلَا عُمَرَ ، وَقَدْ اجْتَرَحَ النَّاسُ ، فَلَوْ نَصَبْتُ لَنَا عِلْماً مِنْ بَعْدِكَ
نَصِيرَ إِلَيْهِ ، مَعَ أَنِّ كُنْتُ قَدْ دَعَوْتُ أَهْلَ الْعِرَاقِ إِلَى «يَزِيدٍ» فَرَكِبُوا إِلَيْهِ ، حَتَّى
جَاءَنِي كِتَابُكَ . قَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، انْصَرَفْ إِلَى عَمَلِكَ فَأُخَيِّمَ هَذَا الْأَمْرَ لَابْنِ
أَخِيكَ .

قال : فأقبلنا على البريد نركض ، فقال :

يَارَبِيعَ ، وَضَعْتَ - وَاللَّهِ - رَجُلَهُ فِي رِكَابٍ طَوِيلٍ الْغَيِّ عَلَى أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ .

قال : فذاك الذى دعا معاوية إلى البيعة ليزيد^(٣) .

(١) أراد : ارفق بنفسك ؛ وأصل المثل : أن العرب كانوا يسيرون فى سفرهم ، فإذا مروا ببقعة فيها كلاً
قالوا : ضحوا رويداً ، أى ارفقوا بالأبل حتى تنضح . أى تنغذى . اللسان .

(٢) هذا مثل . والمراد بحمل : حمل بن بدر ، وفى تاج العروس والعقد الفريد :

لبث قليلاً يدرك الهيجا حمل ما أحسن الموت إذا حان الأجل

(٣) العقد الفريد : [٩٨/١] .

وهكذا كان المغيرة صاحب فكرة تحويل الخلافة من نظام الشورى إلى نظام الوراثة ، ذلك النظام الذى لقي معارضة شديدة من المسلمين فى تلك الفترة ! ، ربما لأن « معاوية » كان قد تعهد للحسن بن على أن يتولى الخلافة بعده ، وكانت تولية يزيد الخلافة بعد معاوية بطريق الوراثة سبباً فى وقوع الأحداث السياسية العديدة بعد .

وإذا كان الشئ بالشئ يذكر ، فقد التقى الدهاء الثلاثة : معاوية ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، وقد تواطأ الأخيران على أمر يزيدان شراً ، بينما كان معاوية يفكر فى عزلهما !

وإنه لمن الممتع أن نعرض على القارئ الكريم صورة من صور الدهاء على أعلى مستوى ليرى ماذا يفعل الدهاء !!

◀ قصة ثلاثية :

كتب معاوية إلى « عمرو بن العاص » ، و « المغيرة بن شعبة » أن يقدموا عليه ، فقدم عمرو من مصر ، والمغيرة من الكوفة ، فقال عمرو للمغيرة : ما جمعنا إلا ليعزلنا ، فإذا دخلت عليه ، فأشك الضعف ، واستأذنه أن تأتى « الطائف » أو « المدينة » ؟ فأبى إذا دخلت عليه سألته ذلك ؛ فإنه يظن أننا نريد أن نؤسده عليه .

فدخل المغيرة ، فسأل أن يُعفيه ويأذن له .

ودخل عليه عمرو ، فسأله مثل ذلك !

فقال له معاوية : قد تواطأتما على أمر ، وإنكما لتريدان شراً !!

ارجعا إلى عملكما .



المغيرة يخرج من مأزق !

استعمل عُمرُ المغيرة بن شعبة على البحرين ثم عزله ، فقال دهقان^(١) القرية لأهلها - وكان مُطاعاً فيهم :

اجمعوا لى مائة ألف درهم آتى بها عمرَ ففعلوا ، فقال عمر : ما هذا ؟ قال : هذا أودعناه المغيرة .

فقال عمر للمغيرة : ما هذا ؟ قال : إنها مائتا ألف درهم .

فقال للدهقان : قد تسمع .

فقال : والله ما أودعنا شيئاً ، إلا أننا خفنا أن تردّه إلينا !

فقال عُمرُ للمغيرة : مادعاك إلى ماقلت ؟

قال : أحببت أن أُخزيه إذ كذب على !

◀ من حيل المغيرة !

خرج المغيرة بن شعبة مع النبي - ﷺ - فى بعض غزواته ، وكانت له عترة^(٢) يتوكأ عليها ، فرمى أثقلته ؛ فرمى بها على قارعة الطريق ، فيمر بها المارّ فيأخذها ، فإذا صاروا إلى المنزل عرّفها ، فأخذها المغيرة .

ففطن له على - رضى الله عنه - فقال : لأخبرنّ النبي - ﷺ - ؛ فقال : لئن أخبرته لا تردّ ضالّة بعدها .. فأمسك .



(١) الدهقان : رئيس الإقليم . فارس معرب .

(٢) العترة : بفتح العين والنون زُميج بين المصا والرمح . القاموس .

أول من رشا في الإسلام !

◀ قال البغوى :

حدثني حمزة بن مالك الأسلمى ، حدثني عمى شيان بن حمزة ، عن دويد ، عن المطلب بن حنطب قال : قال المغيرة : «أنا أول من رشا في الإسلام !، جئت إلى «يرفأ» حاجب عمر ، وكنت أجالسه ، فقلت : خذ هذه العمامة فالبسها ، فإن عندى أختها ، فكان يأنس بى ، ويأذن لى أن أجلس من داخل الباب ، فكنت آتى فأجلس فى القائلة ، فيمر المارّ فيقول : إن للمغيرة عند عمر منزلة ، إنه لَيَدْخُل عليه فى ساعة لا يدخل فيها أحد^(١) !

◀ أبو عيسى :

وذهب البغوى من طريق زيد بن أسلم - أن المغيرة استأذن على عمر ، فقال : أبو عيسى .

قال : من أبو عيسى !؟ قال : المغيرة بن شعبة . قال : فهل لعيسى من أب ؟ فشهد له بعض الصحابة أن النبى - ﷺ - كان يكنيه بها ، فقال : إن النبى - ﷺ - غَفَرَ له ؛ وإنا لا ندرى ما يفعل بنا ، وكتناه أبا عبد الله .

◀ أول من خضب بالسواد !

أول من خضب بالسواد المغيرة بن شعبة . خرج على الناس ، وكان عهدهم به أبيض الشعر ، فعجب الناس منه !

جماله :

يقول أبو الفرج الأصفهاني :

كان الجمال بالكوفة ينتهى إلى أربعة نفر :

١ - المغيرة بن شعبة .

(١) وهى ساعة القيلولة حيث يستريح كل من شدة الحر .

٢ - وجريير بن عبد الله .

٣ - والأشعث بن قيس^(١) .

٤ - وحُجر بن عدى^(٢) .

وكلهم كان أعور .

◀ الغلام الذى خدع المغيرة بن شعبة !

قال المغيرة بن شعبة : ما خدعنى غير غلام من بنى الحارث بن كعب ؛ فإنى ذكرت امرأة منهم فقال : أيها الأمير ، لا خير لك فيها .

قلت : ولم ؟ قال : رأيت رجلاً يَقْبِلُها ! فأضربت عنها ، فتزوجها الفتى ! فأرسلت إليه : أَلَمْ تُعْلِمْنِى كذا وكذا من أمرها ؟ قال : بلى . رأيت أباهَا يَقْبِلُها^(٣) .

المغيرة وزوجته فارعة !

دخل المغيرة بن شعبة على زوجته «فارعة» فوجدها تتخلل حين انفلتت من صلاة الغداة !

فقال لها : إن كنت تتخللين من طعام البارحة فإنك قدرة ! وإن كان من طعام اليوم فإنك لثمة .. كنت فبت ! قالت : والله ما فرحنا إذ كُنَّا ، ولا أسفنا إذ بَنَّا ، وما هو بشيء مما ظننت !

ولكنى استكُت فأردت أن أتَحَلَّلَ بسواك !

فندم المغيرة على ما بدر منه ، فخرج أسفاً ، فلقى يوسف بن أبى عقيل ؛ فقال له : هل لك إلى شيء أدعوك إليك ؟!

قال : وما ذاك ؟

(١) الأشعث بن قيس أمير كندة فى الجاهلية والإسلام .

(٢) حجر بن عدى صحابى شهد القادسية ، ثم كان من أصحاب على وشهد معه وقعتى الجمل وصفين .

حذره زياد بن أبى سفيان من الخروج على بنى أمية فتأواهم سرّاً فجئ به إلى دمشق فأمر معاوية بقتله فى

مرج عذراء مع أصحاب له [الأعلام : ج ٢ ص ١٦٩] .

(٣) عيون الأخبار : [٢٠٠/٢] ، ومحاضرات الأدباء : [١٢٠/٢] .

قال : إني نزلت الساعة عن سيدة نساء ثقيف ، فتزوجها ؛ فإنها تنجب لك !
فتزوجها فولدت له الحجاج بن يوسف .

◀ المغيرة والنساء !

لله درك يا ابنة النعمان !

ركب المغيرة بن شعبة إلى هند بنت النعمان بن المنذر وهي بدير هند^(١) ، متنصرة
عمياء بنت تسعين سنة ! فقالت له :

من أنت ؟

قال : أنا المغيرة بن شعبة .

قالت : أنت عامل هذه المدرة ؟ (تعني : الكوفة) .

قال : نعم . قالت : فما حاجتك ؟

قال : جئتكم خاطباً إليكم أنفسكم .

قالت : أما والله لو كنت جئت تبغى جمالاً ، أو ديناً ، أو حسباً لزوجناك !

ولكنك أردت أن تجلس في موسم من مواسم العرب فتقول : تزوجت بنت
النعمان بن المنذر ، وهذا أمر لن يكون أبداً ! أو ما يكفيك فخراً أن تكون في
ملك النعمان وبلاده تديرهما كما تريد ؟ وبكت !! فخرج من عندها يخفى حنين
بعد أن أدركت ما منى نفسه به !!

◀ المغيرة مزواجاً :

ويقول محمد بن سلام الجمحي :

أحصن المغيرة بن شعبة إلى أن مات ثمانين امرأة ، فبين ثلاث بنات لأبي سفيان
ابن حرب ، وفيهن حفصة بنت سعد بن أبي وقاص ، وهي أم ابنه حمزة بن
المغيرة ، وعائشة بنت جرير بن عبد الله .

(١) هو دير بنته هند وفاء بهمد أخذته على نفسها إن أفرج كسرى عن أبيها بعد حبسه أن تبيته وتسكنه
حتى تموت .

◀ المغيرة مطلقاً !

وقال أبو اليقظان :

كان المغيرة مطلقاً ، فكان إذا اجتمع عنده أربع نسوة قال : إنكن لطويلات الأعناق ، كريمات الأخلاق ، ولكنى رجل مطلق ، فأعْتِدِدُن .

◀ الرجال والنساء في رأيه :

وكان يقول : النساء أربع ، والرجال أربعة : رجل مذكر وامرأة مؤنثة فهو قوام عليها . ورجل مؤنث ، وامرأة مذكّرة فهي قَوامَة عليه . ورجل مذكر وامرأة مذكّرة فهما كالزَّوْجَيْنِ ينتطحان . ورجل مؤنث وامرأة مؤنثة فهما لا يأتیان بخير ، ولا يفلحان .

◀ إرضاء النساء :

قال : ملكت النساء على ثلاث طبقات : كنت أرضيهن في شيبتي بالباه^(١) . فلما شبت أرضيتهن بالمداعبة والمفاكهة . فلما كبرت أرضيتهن بالمال^(٢) .

◀ أثر المعرفة !

قيل له : إن بوابك يأذن لأصحابه قبل أصحابك .

فقال : إن المعرفة لتتفع عند الكلب العقور ! ، والجمل الصئول ، فكيف بالرجل الكريم^(٣) !؟

◀ مَنِ السُّفْلَةُ في رأيه ؟

قال : السُّفْلَةُ من لا يبالي ما قال ، ولا ما قيل له ! ، ولا ما فعل ، ولا ما فعل

به !

(١) الباه : الجماع .

(٢) في المحاسن والأضداد/ ١٦٨ : حصنت تسعين امرأة ، ما أمسكت واحدة منهن على حب ، فكنت أرضين بالباه شاباً ، فلما شبت وضعت استرضيتين بالعطية .

(٣) في المحاسن والمساويء [١ : ٢٦٣] أن القول لزياد . وسبه صاحب نثر الدر للمغيرة .

◀ التعجب ظاهرة صحية :

وكان يقول : لا يزال الناس بخير ما تعجبوا من العجب !

◀ صورة خَلْقِيَّة للمغيرة :

قال محمد بن سعد : كان المغيرة أصهب^(١) الشعر جداً . أكشف^(٢) .
يفرق رأسه قروناً أربعة . أقلص الشفتين مهتوماً^(٣) . ضخم الهامة ، عجل
الذراعين^(٤) ، بعيد ما بين المنكبين . أعور .



(١) أصهب : في شعره حمرة أو شقرة .

(٢) الأكشف : الذي يضحك حتى تنقلب شفتاه وتبدو مفارص أسنانه .

(٣) تنكسر ثناياه من أصولها .

(٤) ضخم الذراعين غليظهما .

□ والفصل ما شهدت به الأعداء ! □

مصقلة بن هبيرة من بكر بن وائل قائد من الولاة ، كان من رجال على بن أبى طالب ، وتحول إلى معاوية بن أبى سفيان فكان معه فى صيفين ، ولآه معاوية طبرستان فتوغل فيها وأهمل «خط الرجعة» فقتل وهو عائد .

كان بينه وبين المغيرة تنازع ، فضرع له المغيرة ، وتواضع فى كلامه ، حتى طمع فيه مصقلة ، واستعلى عليه فشتمه ، فقدمه المغيرة إلى شريح وهو القاضى يومئذ ، فأقام عليه البينة ، فضربه الحد ، فألى مصقلة ألا يقيم ببلدة فيها «المغيرة ابن شعبة» مادام حياً !

وخرج إلى بنى شيبان فنزل فيهم إلى أن مات المغيرة ، ثم دخل الكوفة ، فتلقيه قومه ، وسلموا عليه ، فلما فرغ من التسليم سألمهم عن مقابر ثقيف ، فأرشدوه إليها ، فجعل قوم من مواليه يلتقطون له الحجارة ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : ظننا أنك تريد أن ترجم قبره !

فقال : ألقوا ما فى أيديكم ، فألقوه ، وانطلق حتى وقف على قبره ثم قال : والله لقد كنت نافعاً لصديقك ، ضاراً لعدوك ، وما مثلك إلا كما قال مهلهل فى أخيه كليب :

إن تحت الأحجار حزماً وعزماً وخصيماً ألد ذا مغلاق^(١)
حمة فى الوجار أربد لا ينـ ففزع منه السليم نفث الراقى
ويروى الشعبى أن مصقلة قال له : والله إنى لأعرف شبهى فى عروة ابنك فأشهد عليه بذلك ، وجلده الحد .

(١) الرجل الملاق : شديد الخصومة ، والملاق : اللسان البليغ .